رواية



إبراهيم أصلان

وردية ليل



محيي الدين اللباد

شرقيات

طرقات أولى
على أبواب الليل

فى هذه المشاهد الأولى ، يمد إبراهيم أصلان يده لبوارب الأبواب ، ويمضى بنا إلى تلك الحنايا المأهولة بنفر من أهل الليل .. الحنايا العامرة بدفء القلوب عندما تتجاور . يلملم الأشجار والأحزان ونجوم الليالى ، ويجمع ابتسامات الرجال وآمالهم ، ويلامس جراح الروح بأطراف الأصابع برفق ، ولكن دون وجل لينتهى بنا ، بقدرة الفنان ومهارة المبدع ، إلى عالم كامل غير مسبوق ، يغنينا ، ويملأ نفوسنا بفيض من الأسى والبهجة والتراحم .

يقف الكاتب [illegible] الفرد ، لحظات من الزمن ليتوقف عند [illegible] من حياة هذا النفر القليل من الناس ، وحياة الوطن الذى يعيشونه ، ويجسدها فى مشاهد يكتمل كل منها على حدة وإن كانت ، فى تجاورها ، تمنحنا عقداً واحداً موصولاً ، له حبّات من النور ، ترتجف ، لتهدينا فى قلب العتمة .

إضافة أخرى بارزة لصاحب « بحيرة المساء » و « مالك الحزين » و « يوسف والرداء » ...



دار شرقيات للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ، ١٩٩٢

عمارة ٢ أ / شقة ٤ / المنطقة الجنوبية الشرقية
مساكن شركة مصر الجديدة للإسكان والتعمير
خلف شيراتون هليوبوليس / القاهرة
ت [illegible]

الصورة الفوتوغرافية على الغلاف الأخير :
عمر أنس
الرسم وتصميم الغلاف والاشراف الفنى على الكتاب :
محيى الدين اللباد

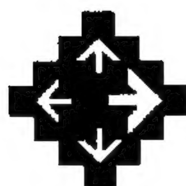


وردية ليل



وردية ليل

إبراهيم أصلان



دار شرقيات للنشر والتوزيع

إلى ذكرى الصديقين :
« أمل دنقل » و « يحيى الطاهر عبد الله »

فاتحة

« جبال الكحل ..
تفنيها المراود »
هكذا كانت تقول
ولم لا ؟
وهى التى امتلكت مكحلة مدورة من زجاج ،
داخل مخدة صغيرة مكسوة بالساتان الوردى الباهت ،
ومشغولة بالخرز الدقيق ،
ولها فوهة ،
وسدادة مثل حلمة طرية ،
معقودة بخيط من حرير ،
ومرود نحيل من العاج ،
فلم لا ؟

رحم الله أمنا « رأفه »
ماتت ،
وضاعت المكحلة ،
ولم يعد باقياً إلا القليل ،
وظل المثل سائراً ،
كلما ضاقت ، أو ثقلت الأحزان :
« جبال الكحل ..
تفنيها المراود » .

إبراهيم

(١)

فستان التيل

غادر العربة عند دار القضاء العالى ، وعبر ٢٦ يوليو ذا الاتجاهين ، ومشى فى الجانب الآخر .

كان الوقت ليلاً ، واللمبات الملونة تحيط بالاعلان المعلق على مدخل السينما الذى ازدحم برواد التاسعة . ومن هناك ، كانت عيناها تبسمان من أجله حتى اقترب من ناحية المشرب المفتوح ، والعامل الذى ينحنى بسترته القصيرة البيضاء ، يسوى كتلة اللحم ويديرها أمام النار ، وشم رائحة الشواء وهو يقول :

« أهلاً » .

قالت :

« أهلاً » .

« على فين ؟ » .

« انت اللى على فين ؟ »

قال :

« أبداً » .

وحدق في عينيها الكبيرتين وقد انعكس فيهما نور اللمبات الصغيرة الملونة ، وسمع الصوت الذى أحدثه العامل بحافة السكين وهو يلملم فتات اللحم فى جانب الصينية المعدنية المستديرة .

تحركا ببطء حتى عبرا المدخل الزجاجى المفتوح . كانت تسبقه قليلاً وترتدى فستاناً من التيل ، وتثبت فى جانب شعرها الكثيف خرزة ثقيلة زرقاء .

توقفت وهى تعطى ظهرها إلى اللوحة التى علقت بها مشاهد

من الفلم المعروض . توقف أمامها حيث تخف حركة الناس . كانت تضع على صدرها الصغير زهرة من الحرير المقارب للون الفستان .

« انت داخل السينما ؟ » .

« لأ » .

« ليه ؟ » .

« أبداً » .

« لازم شفت الفلم ؟ » .

« أبداً والله » .

« أمال مش عاوز تدخل ليه ؟ » .

« حنعمل إيه فى السينما ؟ » .

« ممكن نعمل كل حاجة » .

واتسعت [illegible]

ابتسم هو الآخر :

« دى زحمة قوى » .

« وإيه يعنى ؟ » .

وراحت تؤرجح حقيبتها الجلدية البيضاء .

ومضت فترة ، والتفتت هى إلى المدخل القريب :

« الحفلة بدأت تدخل » .

« ياشيخة دى زحمة قوى » .

قالت بغضب :

« أنا ما بارحش بيوت » .

وتراجعت إلى الوراء وهى ترتجف :
« مش باحب اروح بيوت » .

ورأى قدميها الصغيرتين ، والأظافر المفضضة الملمومة فى مقدمة الحذاء البنى القديم ، وقال :
« أصل أنا عندى شغل » .

نظرت إليه دون أن ترفع وجهها المائل ، وبانت أهدابها الطويلة والثقب الدقيق فى حلمة أذنها الخالية .
« آه والله . عندى وردية ليل » .
« انت بتشتغل إيه ؟ » .
« أنا باشتغل موظف » .
« موظف ؟ » .
« آه » .
« فين ؟ » .
« فى هيئة المواصلات » .
« اللى فين دى ؟ » .
« اللى عند معهد الموسيقى » .
« العمارة العالية ؟ » .
« آه . باشتغل فى الدور الرابع » .

شبكت ذراعيها على صدرها فتكور نهداها ، ورفعت وجهها إلى ياقة قميصه المفتوح ، وشعره الذى شابه البياض :
« أمال كنت فين ؟ كنت بتتعشى ؟ » .

« أبداً والله ، دانا لسه جاى من البيت » .

« بيتكم فين ؟ » .

« فى امبابة » .

« عند المنيرة ؟ » .

« لا . عند الكيت كات . لكن اختى ساكنة عند المنيرة » .

عادت الابتسامة إلى عينيها الكبيرتين ، وقالت :

« انت اسمك إيه ؟ » .

« انا اسمى سليمان » .

وارتفع صوت الولد الذى ينادى من وراء الأسوار التى تحيط بالحفائر الخاصة بمترو الأنفاق . تابعه حتى اقترب بحمله من الجرائد . مد يده إلى جيبه وقال :

« أجيب لك واحدة ؟ » .

هزت رأسها نفياً .

« دى بتاعة بكرة !» .

« لأ . متشكرة » .

وراقبته وهو ينزل عن الرصيف ، وقالت بصوت عال :

« أقولك ، هات » .

عاد بنسختين من الجريدة ، أعطاها واحدة :

« متشكرة » .

« العفو » .

وابتسم :

« عن إذنك » .

ونزل إلى عرض الطريق وهو يفتح الجريدة بين يديه ، تمهل على الرصيف الضيق الذى يفصل بين الاتجاهين . ومضت فترة أخرى من الوقت ، ثم التفت .

كان المدخل قد خلا من الرواد . وكانت هى فى دائرة الضوء حيث اللوحة التى ثبتت عليها مشاهد من الفلم المعروض . وقف ينظر اليها حتى أدارت وجهها ، وتطلعت ناحيته بعينيها الكبيرتين ثم اعتدلت ، بفستان التيل ، والشعر الكثيف ، والخرزة الثقيلة الزرقاء .

(٢)

تأهيل

كان المطر الذى تساقط أول الليل ، قد توقف الآن ، وخلف بركاً صغيرة على مقربة من أرصفة الميدان الخالى . وكان العم جرجس قد أخرج البرقية الأخيرة من جيب سترته الحكومية المغلقة . أعطاها لى ، ورافقنى إلى البناية القديمة المبتلة ، ووقف أمام حجرة المصعد الخشبى ، وأشار برأسه الى الباب البعيد ، وتركنى وانصرف .

كان العم جرجس هو الذى يقوم بتدريبى على معرفة أسماء الشوارع فى ليل المدينة ، لكى أحل مكانه عندما يعمل هو رئيساً لوردية الليل ، بدلاً من العم بيومى الذى سوف يخرج إلى المعاش أول العام الجديد .

إنها المرة الأولى التي يدعنى أسلم فيها برقية بمفردى . وكنت قد ضغطت زر الجرس الأصفر الباهت ، ووقفت حتى أضىء النور بالداخل ، وفتحت شراعة الباب ، وأطل وجه امرأة عجوز لها شارب خفيف وعينان كبيرتان . ظلت تحدق فى وجهى لفترة من الوقت ، ثم تناولت البرقية والقلم المفتوح عبر قضبان الشراعة الحديدية وتراجعت ، وعندما عادت بالايصال استدرت ، ورأيت المصعد الخشبى المقفول وقد التمعت ألواحه الزجاجية النحيلة ، ونزلت الدرجات القليلة مسرعاً وخرجت إلى الميدان الصغير . كان العم جرجس فى ضوء المصباح الوحيد العالى ويداه فى جيوب سترته ، وقال :

« إيه ؟ » .

« أبداً » .

« سلمتها ؟ » .

« آه » .

واتجهت اليه وأنا أمد يدى بالايصال وألمح توقيعها الخفيف أسفل الورقة . ونزل هو عن الرصيف ، ورحنا نتقدم فى طريقنا إلى الهيئة التى كنا نرى جانباً من السور الحديدى الذى يحيط بمبانيها الكبيرة ، ورفع وجهه إلى أعلى :

« ناويه تمطر » .

« آه » .

وقال :

« ست عجوزة » .

قلت :

« جداً » .

« أكبر ست فى منطقة التوزيع » .

« ياه ! » .

« طبعاً » .

واقتربنا من البوابة الكبيرة المفتوحة .

قلت :

« عايشة لوحدها ؟ » .

« لوحدها » .

وبدأ ينظف مقدمة حذائه فى حافة الرصيف :

« وكان ممكن تموت » .

ابتسمت .

ودخلنا من البوابة .

كان رجل الأمن نائماً . وقال :

« صحيح . كان ممكن تموت » .

« أى واحد ممكن يموت » .

« طبعاً » .

وتوقف .

« لكن دى حاجة تانية » .

« ازاى ؟ » .

« يعنى . يكون عندها ابن مريض ، مسافر ، بنت بتعمل عملية ، بتولد ، أى شيء . تقول تلغراف ، تروح ميتة » .

« للدرجة دى ؟ » .

« طبعاً » .

وأعاد يده إلى جيب سترته ، وأخرج علبة سجائره ، وفتحها :

« أنا حصلت معايا مرتين » .

وأعطانى واحدة :

« أقول تلغراف ، تروح ميتة » .

« من غير ما تقراه ؟ » .

« من غير أى حاجة » .

« غريبة » .

« أبداً » .

ومشينا تحت الشجرة الكثيفة المثقلة بالأوراق المبتلة بين المبنيين

الكبيرين ، وتوقفنا أعلى الطريق الذى ينحدر مائلاً حيث الجراج الداخلى المكشوف ، وقال :

« دى نسبة معقولة فى تلاتين سنة توزيع » .

وأخرج علبة الكبريت :

« عندك عمك بيومى مات منه سبعة . وكان عندنا الأسطى قدرى الانجليزى مات منه تسعة » ، وارتعشت يده بعود الكبريت :

« أصل الناس زمان كانت قلوبها خفيفة خالص » .

وأشعل عوداً آخر :

« نسبة معقولة جداً » .

ورحنا ننحدر وأنا استعيد صورة السيدة العجوز وهى تطل على بعينيها الكبيرتين من الشراعة الحديدية المفتوحة . وعبرنا الساحة المكشوفة ، ووقفنا أمام المدخل الجانبى المردود ، وهمس :

« أنا مش قصدى أخوفك » .

وأطرق برأسه وهو يتراجع ويغيب :

« كان لازم اقول لك » .

ومن بعيد :

« كان لازم » .

وقفت وحدى لفترة أخرى من الوقت ، ثم رفعت وجهى إلى السحب القريبة التى احمرت حوافها ، فى الليل ، وعندما سقطت قطرة ماء دافئة على خدى الأيسر ، جففتها ، ولمحت العم جرجس وهو يتطلع إلى صامتاً ، بأنفه الكبير ، وعينيه الجميلتين .

(٣)

الدرج

« ما تعمل لنا شاى يا جرجس » .

« دلوقت يا ريس ؟ » .

« وماله ؟ » .

« ده النهار قرب يطلع ! » .

« قوم يا أخي . قوم اعمل الشاى وتعالى استلم الدرج » .

« كويس انك فاكر . أنا قلت انك نسيت » .

« نسيت إيه وافتكرت إيه يا جرجس ؟ هو عهدة ؟ »

« مش قصدى » .

« امال إيه بس ؟ »

وضع سيجارته القصيرة السوداء بين شفتيه الممتلئتين .

كان العم جرجس قد وعدنى بدرجه القديم لكى أضع فيه كتبى ، وذلك بعد أن يستلم درج العم بيومى عند رحيله . وفى أول الليل ، زارنا العم آدم وعدد آخر من زملاء الليلى القدامى الذين ودعوا العم بيومى ثم صعدوا إلى مكاتبهم . بعد ذلك انتهينا من تغيير الأختام وإغلاق دفتر الأحوال ، ولم يعد أمامنا إلا وقت قليل لكى نخرج ثلاثتنا إلى الحوش وننتظر أول القادمين من وردية الصباح تحت الشجرة الكبيرة التى تحتلها العصافير .

وقال العم جرجس وهو يصب الشاى :

« شاى الوداع يا ريس » .

التفت العم بيومى إلى وقال :

« وداع أيه بس ؟ هو انا حاموت ؟ » .

وقال العم جرجس ضاحكاً :
« ألف سلامة عليك يا ريس » .
« لعلمك بقى ، أنا فى البيت باشرب شاى أكتر من هنا » .

ومد يده إلى المفتاح النحاسى البلدى بمقبضه البيضاوى المشغول ، وأداره فى ثقب الدرج بمقدمته الجوزية النظيفة ، وجذبه قليلاً إلى الخارج ، وتناول علبة الكبريت ، وأشعل السيجارة . ولمحت مجموعة من المظاريف الحكومية الممتلئة ، واللفافات والعلب الورقية المرتبة بعناية . وجذب الدرج أكثر ، واستطعت أن أرى كرة من الخيط الحريرى الأبيض ، وزجاجات صغيرة مغلقة ، ومقص معدنى دقيق ، وكمية من الأقلام الخشبية . تناول العم بيومى أحد المظاريف ، وأغلق الدرج مرة أخرى .

أخرج من المظروف صورة جماعية باهتة ، تفرج عليها وقال :
« مين ده يا جرجس ؟ » .

وقام العم جرجس من على الدكة الخشبية واقترب وهو يجفف أنفه بمنديله ، وقال :
« ورينى » .

ومد يده ، ولكن العم بيومى أبعدها ، وبدأ يشير باصبعه ، ويوجه كلامه إلى :
« ده الخواجة شقال » .
وقال العم جرجس :
« والجنرال متولى » .

« وخالد ومحيي الأسمر، وحسن بحر، والريس ماكميلان » .
وقال العم جرجس :
« أنا أهو » .

كان فى مثل سنى . شعره مصفف كما هو الآن ، ولكنه أسود ، وسترته مفتوحة .
« والريس بيومى أهه » .
كان العم بيومى أطولهم ، يقف معتدلاً فى طرف الصورة ، ويبتسم .
وقال العم جرجس :
« امال مين ده ؟ » .
« مش عارف مين ده ؟ » .
« الله . ده المرحوم صالح » .
« أيوه . صالح توفيق » . والتفت إلى : « مات على الدكة دى . وده أنجلو ، الشاعر » ، وابتسم : « صاحب الدرج ده » .

وأعاد الصورة إلى مكانها ، وجذب الدرج أكثر ، ووضع المظروف ، ثم أعاد جذبه عن آخره . كان عميقا على نحو غريب ، يمتد بعرض الطاولة ذات السطح الداكن المصقول ، وبدأ يفحص العبوات الورقية والعلب المدورة القديمة التى امتلأت بزاد الليل . وفاحت روائح الفلفل الأسود المطحون والملح والشطة الناعمة والكمون والشاى والبن المحوج وزجاجات الزيت الحار والصمغ البلدى والخل والسبرتو الأحمر وجوز الطيب . كان يفض كل عبوة

على حدة ويشمها ثم يعيدها إلى مكانها بحرص ودون تعليق ، وتناول مظروفاً آخر وفتحه ، وأخرج منه ورقة مطوية ومصقولة ، ما أن فردها حتى كادت تنفصل إلى أربعة أقسام .

« شوف برقيات التهانى بتاعة زمان » .

كانت نموذجاً قديماً ، ومصفراً ، فى أعلاها صورة لولد وبنت يحملان باقة من الورود الملونة . وكانت عبارات التهنئة واسم « ماركونى » مطبوعة كلها بالانجليزية ، وطواها بعناية داخل المظروف ، وأعاده إلى مكانه .

وقال العم جرجس :

« ماتدينا قلمين من دول » .

« انت بتكتب برصاص ياجرجس ؟ » .

ابتسم العم جرجس ولم يرد .

« بتكتب بكوبيا ؟ » .

« لا » .

« طيب دول بقى اقلام رصاص ، واقلام كوبيا » .

« للعيال يا ريس » .

« حاضر ياسيدى . حاضر » .

وأغلق الدرج بالمفتاح ، ووضعه فى جيب سترته ، ونظر إلى ساعته وهو يقوم واقفاً :

« ياه ، دى وردية الصبح قربت توصل » .

وسبقنا إلى الخارج .

(٤)

عام سعيد للسيدة

كان الهواء يهب بارداً من النافذة المفتوحة على أرضية الحوش الكبير الخالى . وكان العم جرجس يراقب سخان الشاى الكهربائى فى الجانب الآخر من حجرة التوزيع ، أما العم بيومى الذى كان يقضى معنا ليلته الأخيرة قبل أن يذهب غداً إلى المعاش ، فقد كان يهز رأسه صامتاً ، كلما تناهت إلينا أصوات المحتفلين هناك بالعام الجديد .

وحين بدأ العم جرجس يصب الشاى ، وصلتنا أسطوانة جديدة بها مجموعة أخرى من البرقيات .

أشعل العم بيومى سيجارته التوسكانيللى السوداء ، وبدأ يفض البرقيات وهو يعتمد بمرفقيه على الطاولة الخشبية بسطحها القاتم المصقول . يفحصها ، ويضعها واحدة تلو الأخرى فى الخانة الخاصة بوردية الصباح ، ثم استبقى واحدة بين يديه وهو يلوك طرف السيجارة بين شفتيه الممتلئتين ، ويقول بصوته الخفيض اللاهث :

« فكرنى يا جرجس اسلمك الدرج قبل ما امشى » .

اقترب العم جرجس وهو يجفف يديه بمنديله :

« إيه ؟ توزيع ؟ » .

تمتم العم بيومى وهو يدقق فى البرقية المفرودة :

« ميرا بودوفتش » .

« ميرا ؟ » .

« بودوفتش » .

وصمت قليلاً :

« فاكرها يا جرجس ؟ » .

« مش واخد بالى » .
« الست الحلوة بتاعة شارع زكى » .
« طيب ما هو شارع زكى كله ستات حلوين » .
« يا أخى مرات الخواجه بودوفتش » .
« فى كام زكى ؟ » .
« تلاته » .
« عرفتها . دى الست بتاعة تانى دور » .
« أول دور . ساكنين فوق المكتبة بتاعتهم » .
« شارع زكى كله مافيهوش مكتبات » .
« إزاى الكلام ده ؟ » .
« زى ما باقولك كده » .
وبدأ يقلب الشاى فى الأكواب .

رفع العم بيومى وجهه الحليق ، وتطلع إلى بعينيه المجهدتين . لم أكن واثقاً .

وقال العم جرجس :
« وبعدين دى ست كبيرة » .
« كبيرة ازاى ؟ » .
« عجوزة يعنى ، ومش متجوزة » .
« جوزها مات . أنا كلمتك عنه » .
« كلمتنى أنا ؟ » .
« كتير » .
قال العم جرجس :

« يمكن » .

والتفت إلى باسماً ،

ووضع الملعقة الصغيرة على حافة الطاولة ، وجلس .

كانت الأعمال قليلة بسبب أعياد الميلاد . خرجنا مرة واحدة أول الليل ، وزعنا فيها برقية لإحدى وكالات الأنباء الأجنبية ، وعدنا ، وكاد الليل أن ينتصف ونحن نشرب الشاى ، وراح العم بيومى يعيد قراءة البرقية بصوته الخفيف المسموع : « ميرا بودوفتش . ثرى زكى ستريت . هابى نيو يير » ، والتفت إلى وأخبرنى أن ميرا بودوفتش سيدة يوغوسلافية جميلة جداً ، وأن زوجها الخواجة بودوفتش كان رجلاً رائعاً ، وابتسم ، وكان من عادته أن يدفع عن كل برقية يتسلمها نصف فرنك من الفضة ، ظل يفعل ذلك حتى مات ، وقال : « أنا عارفم . عارفهم كويس » .

وقال العم جرجس :

« الكلام ده امتى يا ريس ؟ »

« زمان يا جرجس . زمان » .

« أيام الفضة يعنى ؟ » .

« أيوه ياسيدى ، أيام الفضة »

وطوى البرقية داخل المظروف الصغير بايصاله الخارجى الملصق . ومد العم جرجس يده كى يتناولها ولكن العم بيومى وضعها فى جيبه وقال :

« خليك انت يا جرجس » .

« حتوزع يا ريس ؟ » .

« وماله » .

وقام واقفاً .

نزع الورقة الأخيرة من نتيجة الحائط ، وسمعت صرير خشب الأرضية تحت ثقل قامته الكبيرة الهرمة .

أغلقت الكتاب ورافقته إلى الخارج .

كان يسير فى خطوات بطيئة متثاقلة ، وسألنى :

« الدنيا برد ؟ »

قلت :

« شوية » .

ومضت فترة :

« الإشارة معاك ؟ » .

أخبرته أنه وضعها فى جيب سترته . تحسس جيبه من الخارج ، وعاد يخبرنى أن عبد الناصر كان يحبس الخواجة بودوفتش كلما جاء تيتو إلى مصر ، ولا يتركه إلا عندما تنتهى الزيارة ، وان ميرا كانت تأتى إلى المعتقل وهى تحمل لهم الطعام والسجائر : « فى الأول سجاير عادية ، وبعدين سجاير عادية وسجاير توسكانيللى . افتكر هو ده البيت » .

ووقف حائرا أمام المبنى القديم العالى .

كان الطابق الأرضى كله ، ما عدا المدخل ، مغطى بلافتة تعلن

عن بيع لوازم السيارات .

ودخلنا .

صعدنا الدرجات العريضة حتى وقفنا بين مدخلين فى الطابق الأول . ومضت فترة قبل أن يخرج البرقية والقلم ويتجه إلى أحدهما ، ويضغط على الزر الدقيق الباهت .

وسمعنا صوت الكنارى ، وفتح الباب .

كانت سيدة طويلة بيضاء ، لها شعر رمادى ملموم .

« جود ايفننج مدام » .

ومد يده بالبرقية والقلم .

تناولتهما وهى تنقل عينيها بيننا .

« تلجرام مدام . هابى نيو يير » .

« أوه . تلجرام » .

وتوقفت عيناها عند وجهه لفترة ، وتراجعت .

رأيت الجدار المقابل مغطى بأرفف الكتب الداكنة المصفوفة ، ولوحة زيتية تمثل وجها مضيئاً لسيدة شابة وجميلة ، وفى الركن البعيد ، كانت منضدة عليها جرامفون من الخشب الأبنوسى اللامع ، يعلوه بوق كبير .

وعادت بالمظروف وقد طوته على الايصال والقلم . وانحنى العم بيومى بقامته الكبيرة :

« هابى نيو يير مدام » .

واعتدل :

« أنا بيومى » .

ابتسمت السيدة وهزت رأسها ، وقالت :

« سنة سعيدة بيومى » .

« سنة سعيدة مدام » .

ونزلنا .

كنت أتبعه وهو يستند بيده الخالية على السياج ويقول :

« أول دور مش تانى دور » .

وتوقف أعلى الدرجات الأخيرة المواجهة للمدخل المفتوح . كاد يغيد الإيصال إلى جيب سترته الحكومية المغلقة ، عندما سقطت منه قطعة معدنية رقيقة ، ارتفع رنينها النحيل الصافى فى صمت الليل ، بينما هى تقع من درجة إلى أخرى وقد التقطت شيئاً من نور الطريق ، وانحنيت ، ورأيتها ، فضية على السطح الرخامى المائل إلى الزرقة ، تجرى ، وترف قليلاً ، وتستقر .

(٥)

مصابيح

عندما عدنا من دورة التوزيع الأخيرة ، أخبرنى العم جرجس أن محمود سأل عنى .

كان محمود الذى تسلم العمل معى فى نفس اليوم ، يتدرب على أعمال الحفظ فى الطابق الرابع من المبنى . وكان الحريرى هو الذى يقوم بتدريبه ، وأثناء ذلك . كان يحكى لنا عن العاملين القدامى فى وردية الليل . هو الذى أخبرنى أن العم بيومى كان سياسياً قديماً . اعتقلته الحكومة عدة مرات ، وأن العم جرجس يعيش طول عمره مع زوجة غير التى أرادها . فلقد أحب فتاة وخطبها ولكنهم فى ليلة الدخلة بدلوها بشقيقتها الكبرى ، وأن العم جرجس نفسه هو الذى يحكى هذه الحكاية ، ويقول أنه غير نادم الآن على حبيبته الأولى ، وأن ماحدث كان من حسن حظه .

كان يحدثنا وهو عاكف على إعداد البرقيات . لا يتوقف إلا عندما ينتهى محمود من تقليب الشاى . حينئذ نجلس فى ركن القاعة حيث النافذة الأمامية الطويلة . وكنا نعرف أن العاملين فى ورديتى الصباح والمساء يراقبن فتيات التلغراف المصرى من النافذة الأخرى وهن يبدلن ثيابهن ويتزين فى زجاج النوافذ المفتوحة بالمبنى المجاور ، أما هذه النافذة فهى تطل على الشاعر الكبير ، والأشجار ، ونور المصابيح العالية التى تلفها هوام الليل والضباب ، والرجال والنساء وصغار العائلات الذين يجلسون فى الشرفات المزروعة ، بنورها الخفيف ، ويرفع الحريرى وجهه مبتسماً ، ويقول :

« تعرف يا محمود أنا بحبك ليه ؟ » .

وينتظر قليلاً ثم يضيف :

« أنا باحبك علشان انت بتحب عبد الناصر » .

وينظر إلى :

« عبد الناصر كان شريف ووطنى . لكن مش بإيده » .

كان محمود قد أخبرنى أن الحريرى جرح فى حرب ٦٧ وأنه أصيب بصدمة أنسته كل شيء لمدة طويلة . وعندما كان محمود يحاول استدراجه للحديث عن هذا الموضوع فى حضورى ، كان يبتسم ويقول :

« تصدق انى نسيت كل حاجة ، زى ما تجيب شريط تسجيل وتمسحه » . وينتهى من الشاى ويقول :

« عقبال شرباتك يا عم » .

ويلتفت إلى :

« وانت كمان يا سليمان » .

ويقول :

« لازم الواحد يستقر . أنا متجوز بنت عمى » .

ويقول محمود :

« ماعندكش عروستين لينا يا أبو أشرف ؟ » .

« يا خويا عندك وردية الصبح ، كلها بنات ولاد حلال » .

« زى مين ؟ » .

« زى ايزيس . قابلتها مرة وأنا بأقبض . بنت حلال قوى » .

« لكن دى مسيحية ! » .

يفكر ، ويبتسم :

« لأ . معاك حق » .

ويواصل إعداد البرقيات ، ثم يرفع رأسه :

« مكنتش أعرف والله . وبعدين هو لازم إيزيس ؟ ، عندك بنات كتير غيرها . أنا مثلا متجوز بنت عمى » .

وينتهى الليل .

تكون الشرفات قد أغلقت قبل زمن ، واسدلت ستائرها ، وأقوم ، أسبق محمود بالنزول لكى أوقظ العم جرجس إذا كان مايزال نائماً ، اوقع ، وأتركه وحده حتى يصل أول العاملين فى وردية الصباح ، واصعد الطريق المنحدر ، انتظر محمود تحت الشجرة الكبيرة التى تحتلها العصافير .

(٦)

نوافذ

كان يجلسان فى ركن القاعة .

أمام كل منهما كومة من البرقيات .

محمود ، وهو الأصغر ، استدار بمقعده ، وراح يدخن ، ويطل من نافذة ذلك الطابع الرابع على النوافذ القليلة المضاءة ، بستائرها الخفيفة المسدلة ، فى الأدوار العليا من المبنى المقابل .

أما الثانى ، الحريرى ، فقد كان مشغولاً بترتيب البرقيات حسب أرقامها المتعاقبة . وبين وقت وآخر ، كان يضع ورقة خالية مكان البرقية الغائبة حتى يلصقها عليها عندما تأتى .

وكان الآن قد انتهى من اعداد رزمة كبيرة .

وضع لها غلافين من الورق المقوى ، وأمسك بالمغراز ذى المقبض الخشبى وغمس طرفه المسنون فى علبة زبادى مدورة ممتلئة بالصابون الجاف ، ودفع به فى زاوية الرزمة وهو يقوم نصف قومة وينزل بثقله كله على المقبض . ولما برز طرف المغراز من الخلف، تناول المسلة التى تدلى منها خيط الدوبارة ، وجذب المغراز وهو يقبض على الرزمة جيداً حتى لا يتوه الخرم فى طيات الورق ، وأولج المسلة مرة ، وأخرى ، وجذب الخيط بحيث صنع مربعاً فى الزاوية العليا ، وربطه مرتين ، والتقط الموسى وقطع الدوبارة الزائدة ، وقلب المغراز فى يده ، وراح يدق بكعبه الخشبى على مكان العقدة حتى استوت ، وحينئذ تناول القلم الجاف المفتوح ، ورسم خطاً أفقيا أعلى الغلاف الأمامى ، وكتب التاريخ بخط مزدوج ، ورسم خطاً آخر رأسياً فى الثلث الأول من الناحية اليمنى ، وبدأ يكتب الرموز التى تدل على أسماء البلدان الأجنبية التى وردت منها : لندن . باريس .

موسكو . فرانكفورت . روما . أوزاكا . أمستردام . جنيف . فيينا . شنغهاى . بومباى . برلين ، حتى انتهى وهو يضغط على سن القلم ويعض على طرف لسانه ، ودون أمام كل منها أرقام أوائل وأواخر هذه البرقيات الواردة .

وكان زميله يرقبه وهو ما زال يتراجع بمقعده . وعندما رآه وهو يضع الخطين ، الأفقى والرأسى ، أطفأ سيجارته وتهيأ لمواصلة عمله ، وقال :

« ياسلام يا ابو أشرف ، مسطرة والله » .

ابتسم ابو أشرف .

اكتفى بأن ترك دماغه يتمايل بخفة بين كتفيه المحنيتين وقال :

« تعرف يا محمود ، صاحبك سليمان ده بيحبك قوى » .

وقلب الرزم المربوطة بين يديه ، اطمأن عليها وأضاف :

« وانت كمان بتحبه »

وألقى بها على كومة الرزمة الأخرى التى تعلو الطاولة الجانبية المشتركة .

وظل الاثنان يقومان بترتيب البرقيات حسب أرقامها ، وأعداد الرزم وراء الرزم حتى تبدد الليل ، ولاح النهار خفيفا على جانبى المبنى الذى أغلقت نوافذه ، وبدأ كل منهما يعيد المغراز ، والمسلة ، والموسى ، وعلبة الزبادى الممتلئة بالصابون الجاف ، وكرة الخيط ، إلى درج المكتب المعدنى ، وقاما بالتوقيع فى كشوف الانصراف ، وخرجا إلى الصالة الطويلة المضاءة .

كان ابو أشرف يمشي فى حذائه البنى القديم ، وبنطلونه الرمادى الكالح الذى تدلى حجره الواسع بين ساقيه القصيرتين .

وقعا مرة أخرى فى ساعة الميقات الخشبية المعلقة ، واتجها إلى دورة المياه . وقد اكتفى الحريرى بأن بلل مقدمة رأسه وصدغيه ، بينما انتهى محمود من جذب قميصه داخل البنطلون الضيق ، وسرح شعره الكثيف الفاحم فى زجاج النافذة الطويلة التى تطل على معهد الموسيقى ، وعاد الاثنان ينظران عبر الشبكة الحديدية التي تحيط بمنور السلم ، يرقبان الدرجات الرخامية البعيدة ، حتى صعد أول العاملين فى وردية الصباح :

« صباح الخير » .
« صباح الخير يا عم عبده » .
« اتأخرت عليكم ؟ » .
« لا ابداً » .
« كله تمام ؟ »
« تمام . أى خدمات ؟ » .
« ألف سلامة » .
ونزلا السلم ، وغادرا المبنى .

كان سليمان قد ترك القبو ، ووقف تحت الشجرة الكثيفة أعلى الجراج الجانبى المكشوف . اتجه محمود ناحيته وهو يقول :
« مع السلامة يا ابو أشرف »
« مع السلامة » وصاح : « مع السلامة يا سى سليمان » .

وغادر البوابة الحديدية ، واتجه ناحية الإسعاف وعينه على الشارع الكبيرة .

وعندما جاءت العربة أشار للسائق ، وأسرع بالطلوع ، وأخرج من جيبه الخلفى فوطة فى حجم منديل وهو يحاول جاهداً أن يمسك نفسه عن الوقوع بين صفى المقاعد ، واختار واحداً مسحه بعناية ، وجلس يطل عبر زجاج النافذة المغلقة على شوارع المدينة الخالية ، مراعياً أن يبعد ظهره عن المسند الخلفى ، حتى يظل قلقاً ، ولا يروح فى النوم .

(٧)

النوم فى الداخل

في نهاية الليل ، التقينا تحت الشجرة ، وجلسنا عند مدخل المقهى الصغير .

إلى جوارنا كانت جماعة الحمالين الذين يعملون فى مكتب النقل المجاور يأكلون وأمامهم مجموعة من أطباق الفول وأرغفة العيش وحزم البصل الأخضر ، وأمامنا كان ماسحوا الأحذية قد تركوا صناديقهم على حافة الرصيف ، والتفوا مع بعض السعاة حول العربة الخشبية التى يعلوها القدر الكبير المائل .

كان محمود يعيش وحيداً ، وفى بعض الأيام كان يسألنى أن أرافقه قبل عودتنا إلى البيت ، وكان يتناول إفطاره واكتفى أنا بشرب الشاى ، واستمع إليه وهو يأكل ويحدثنى عن البنت الجميلة آسيا التى رآها فى وردية الصباح تبتسم له فأحبها وأراد أن يتزوجها . وأشعل سيجارة وضحك ثم راح يسعل بشدة كعادته كلما ضحك . ووقف أحدهم أمامنا . كان حافى القدمين ممتلئاً ويرتدى معطفاً ثقيلا من الوبر الكثيف . وكان عبد الله القهوجي يتحسس اكتاف المعطف ويفحص ياقته وهو يشب عاليا ، بينما كان الآخر يهبط برأسه ويقول :

« مستورد » .

« منين ؟ »

ابتسم وهو يلحظنا بجانب عينه ويشير إلى المحل الوحيد المغلق فى المبنى المقابل . وعندما عاد عبد الله يسأله إن كانت توجد معاطف أخرى ، ارتفع صوت عربة النجدة ، ووقفت ، أدفع ثمن الشاى فى اللحظة التى توقفت فيها أمامنا . ورأيت صاحب المعطف يخلى لنفسه

ويسرع بالابتعاد . وفتح باب العربة الأمامى وهبط الضابط الشاب وفى يده ورقة صغيرة .

من المبنى المقابل خرج البواب وبرفقته زوجته وأولاده والتقوا به وراحوا يتبادلون الكلام وهم يتطلعون إلى باب المحل المغلق . كان الجالسون قدا اتجهوا جميعاً إلى هناك ، ووقف صاحب المقهى البدين إلى جوارنا ، وعندما عاد عبد الله القهوجى سأله :

« إيه الحكاية ؟ » .

وقال عبد الله ان الرجل صاحب البيت طلب بوليس النجدة لأن العم مرزوق بائع « الأنتيكا » لم يفتح من يومين .

« ازاى ؟ ده بينام جوه » .

والتفت إلينا :

« غريبة . ازاى ماحدش أخد باله ؟ » .

واتجه إلى هناك .

واقتربنا .

كان الرجال قد تمكنوا من فتح الباب المغلق .

لاحظت أن المدخل مزدحم بالأشياء كما عهدته : كميات كبيرة من القدور الرخامية والأوانى النحاسية المطروقة والزجاجات الملونة والمرايا ذات الأطر المنقوشة والمقاعد والثريات والمشكاوات والتابلوهات الباهتة المركونة ، وفى خلفية المحل المعتم كان الجسد الضئيل يتدلى من حبل قصير مربوط فى شماعة وضعت افقيا بين صوانين متقابلين . وكان محمود يرتجف ، وسمعت الضابط الشاب يصيح :

« نزلوه » .

ثم سمعته يقول :

« ما حدش يلمسه » .

مرة أخرى حاولت أن أرى وجه الرجل الذى كنت أعرفه ، ولكننى لم أتمكن .

كان يعطينا ظهره ، وكان جسده ثابتا تقريباً ، وأشعة الشمس تنير أرضية المحل ، وحذاءه البنى النظيف ، وجزءاً صغيراً من جوارب قدميه المعلقتين فى الفراغ .

تراجعت وسط الزحام باحثاً عن محمود لكننى لم أجده . وعبرت الطريق إلى الناحية الأخرى .

كان صاحب المعطف واقفاً بقدميه الحافيتين على حافة الرصيف وأمامه مجموعة قليلة من الحمالين وماسحى الأحذية . كانوا يتطلعون إليه صامتين بينما هو يهمس ويده اليمنى مرفوعة إلى ناحية . مضيت مقترباً ولكنه توقف عن الهمس دون أن يلتفت ، وأثناء مرورى لمحت عند انحرافة الفم المفتوح ، شبح ابتسامة خفيفة ، توشك أن تختفى .

(۸)

کوب‌شای

كانتورديتى الليلية الأولى بمكتب الحركة الخارجية . وكنت قد لاحظت أن زملاء العمل القدامى يغيبون ، ثم يعودون وقد حمل كل منهم كوباً من الشاى ، وعندما سألت ، أخبرنى محمود مراد زغلول أن عامل البوفيه ، فى الليل ، يكون وحده ، لذلك فهو يكتفى بإعداد الطلبات دون النزول بها . هكذا طلبت منه أن يراقب الدائرة ، وغادرت القاعة الممتلئة بماكينات التيكرز ، وفتحت الباب ، وعبرت الصالة الطويلة حتى نهايتها ، فى طريقى إلى الطابق الآخر .

التفت إلى وهو يجلس عند النافذة الكبيرة فى صدر المكان ، ثم اقترب حتى وقف وراء الطاولة الرخامية التى تفصل بيننا .

بدأ يعد خليط السكر والشاى الجاف فى قاع الكوب ، وصب الماء الساخن من البراد الثقيل الأزرق ، وتناول الملعقة الصغيرة .

لاحظت أن النافذة من هنا كانت تطل على مجمع المحاكم الكبير ، وبرج الكنيسة البيضاء ، والسطح المكشوف لمعهد الكفيفات . تأملت جانب وجهه الأسمر الذى لا أعرفه . بدا غاضباً من تقليب الشاى حتى انتهى ، وضرب بالملعقة على الحافة الزجاجية مرتين ، وتطلع إلى وجهى ، ثم ابتسم .

شممت رائحة الشاى ، وأنا أحمل الكوب بين إبهام وسبابة يدى اليمنى من الحافة الخالية الباردة ، واستدرت فى حذر حيث غادرت المكان .

نزلت مجموعة الدرجات الأولى درجة درجة ، ثم نزلت مجموعة الدرجات الثانية ، ومشيت أمام المصلى ودورة المياه حتى أول الصالة الطويلة الضيقة ، وأخذت مكانى إلى جوار الجدار المطلى ، وما أن جاوزت المدخل الأول حتى انتبهت إلى وقع أقدام تتبعنى . اهتز الكوب فجأة وانسكبت رشفات منه ولسعتنى ، لسعتنى دفعة واحدة ، وتوقفت مرتبكاً وتلاحقت كميات الشاى التى أحرقت أصابعى .

ملت بسرعة ووضعته على البلاط الخشن المغسول ، ومسحت يدى فى رجل بنطلونى . لاحظت أن الخطوات التى كانت تتبعنى توقفت بدورها . استدرت ، كان أحد زملاء الليل يقف ورائى وهو يحمل كوباً آخر من الشاى ، يحمله بيديه الاثنتين . انحنيت وتناولت الكوب بين إبهام وسبابة يدى اليمنى ، إلا أننى فعلت مثله . صنعت من إبهام وسبابة يدى اليسرى ما يشبه الحلقة المفتوحة تحت قاعدة الكوب السميكة ، وبدأت أتقدم فى حذر ، وبدأت الخطوات البطيئة تتبعنى ، وازنت خطوتى معها حتى لم أعد أسمعها ، ولم يمر وقت طويل إلا ولمحت زميلاً يأتى من الاتجاه المعاكس وهو يحمل كوبه . لاحظت أنه يحمله بيديه الاثنتين ، وما أن حاولت تبين ملامحه حتى عاد الكوب يهتز فى يدى على نحو غريب ، وبرغم أن الشاى فى هذه المرة لم يصب شيئاً من يدى اليمنى ، إلا أنه أصاب إبهام وسبابة اليد اليسرى عند القاعدة السميكة الباردة ، وآلمنى تماماً فى مكان الوصل بينهما . توقفت بهدوء وأنا أغالب الألم ، واستعنت مسرعاً بأصبعى الوسطى التى كانت تشارك ، على نحو ما ، فى سند قاعدة الكوب من

أسفل . جعلت هذه القاعدة تستقر عليه أكثر ، وأفسحت من الحلقة بالقدر الذى سمح للشاى الساخن أن يتسرب ويبرد . وهكذا استعدت هدوئى على نحو واضح وتوقفت الكوب عن الاهتزاز ، وتوقف الألم ، وبدأت أتقدم بالخطوة القديمة نفسها ، فعلت ذلك كله دون إبطاء ، لأننى أدركت من ملامستى لحافة الكوب والقاعدة ، أن المشوار ليس قصيراً ، وأنهما معرضتان مع الوقت لامتصاص حرارة الشاى . وخايلنى قادم آخر ، إلا أننى لم أرفع عينى أو أحاول تبينه ، وتشبثت بوقع قدمى ، ونجحت تماماً فى ذلك ، وخطر لى أن الكوب لن يعاود الاهتزاز فى يدى ، حتى لو حدث ، فإن الشاى لن يكون بالسخونة الماضية نفسها .

وحين تزايد الزملاء ، والوقت الذى انقضى ، خطوت نصف خطوة ، ثم خطوة كاملة . غيرت إيقاع قدمى ، وأمكننى سماع الخطوات التى تتبعنى حين بدأت تتوقف على نحو متوال ، ثم وهى تواصل سيرها وتوازن وقعها على وقع قدمى . مرة أخرى لم أعد أسمعها حتى انتهيت . وتوقفت على بعد خطوة واحدة من مدخلى المردود ، أعطيته جانبى الأيمن وهيأت نفسى . ثنيت ركبتى حتى لامست خشب الباب ، وجعلت يدى اليمنى فى وضع أفقى دون أن أغير من وضع أصابعى أو أهز الكوب ، ولامست الباب من أعلى بمرفقى ، وعندما ملت بثقلى على الركبة والمرفق فاتحاً الباب كنت يقظاً ، إذ ربما يكون أحدهم خارجاً الآن ويصطدم بى ، ثبت زاوية الباب السفلى بمقدمة حذائى ، دخلت وأنا ابتعد بجسمى جيداً ، وسحبت قدمى تاركاً الباب يعود إلى مكانه . كان محمود نائماً وقد

تهدل شعره الفاحم عند الدولاب الحديدى المفتوح ، وكانت
ماكينات التيكرز قد كف معظمها عن استقبال أية برقيات جديدة .
خطوت على الشريط الورقى المكوم أمام دائرتى ، ووضعت الكوب
على قاعدة النافذة الطويلة المفتوحة ، وجلست أدخن وأشرب ما تبقى
فى كوب الشاى ، وأرى كيف أنها ، من هنا ، كانت تكشف قدراً
آخر من سماء الليل ، وتلك المساحة الكبيرة الممتلئة بعربات الأمن
المركزى ، والجانب الآخر من جريدة الأهرام .

(٩)

الصاحبان

كان الصاحبان يعيشان فى مدينة « امبابة » ، أحدهما هو محمود الذى يعيش وحيداً ، والآخر هو سليمان الذى يعيش مع زوجته وولديه ، وفى يوم راحتهما الأسبوعية من وردية الليل ، كان محمود يقوم من نومه متأخراً ، أما سليمان ، فقد كان يصحو مبكراً من دوشة الأولاد ، ويصيح الولد الصغير شادى :

« هيه . هشام . بابا صحى » .

ويأتى صوت هشام من الخارج :

« عارف » .

« عارف منين ؟ يا كداب » .

« علشان بطل شخير يا فالح » .

وتضحك هناء وهى تقعد وراء الطبلية وقد وضعت أطباق الفول بالزيت الحار والباذنجان المخلل وأقراص الطعمية الدافئة والعيش الطازج . ويجلس سليمان وهو ما زال يجفف وجهه ، يأكلون ، ويقول الولد الصغير :

« هو انت بتشخر ازاى يا بابا ؟ » .

وتقول هناء :

« سمعه ياخويا انت بتشخر ازاى » .

« يا ماما أنا عارف الشخير ، أنا بأسأله هو بيعرف يعمل كده ازاى ؟ » .

ويقول سليمان وهو يأكل :

« هو انا باشخر قوى يعنى ؟ » .

وتقول هناء :

« يا مصيبتى . دانت ولا اللى عليه ندر » .

« مش سهران طول الليل » .

ويقول الولد :

« انت بتبقى سهران صاحى ، ولاّ سهران نايم يا بابا ؟ » .

« نايم ازاى ؟ » .

ويخبرهم أنهم لا ينامون ، ويحدثهم عن البرقيات وما يفعلونه فى الوردية ، وما أن يرتدى ثيابه حتى يصيح الولد :

« إيدك على المصروف » .

يعطيهم ، ويخرج إلى سوق امبابة ، يمشى بين صفوف الباعة الذين يعرضون مخلفات البيوت على جانبى الطريق الممتد ، فى سبيله إلى البيت الصغير الذى يعيش فيه صديقه محمود ، لكى يزوره ، ويقضى معه فترة من الوقت .

وفى الطريق ، كان سليمان يكتفى بالنظرة العابرة ، لأنه لم يكن يحب إلا هذه الأشياء التى كانت نادراً تصادفه دون تقليب ، والتى كان يعرف ، على نحو ما ، أنه سوف يلقاها ، فيلقاها ، ويتجه اليها ويشتريها ويحملها إلى صديقه محمود الذى لا يذهب إلى السوق ، لأن السنوات الطويلة التى جرب فيها علمته أنه لو عاند نفسه ولم يأخذها ، فإنه سوف يأتى يوم الجمعة التالية إلى السوق باحثاً عنها وهو يعرف إنه لن يجدها ، فلا يجدها ، حينئذ يحس بالخسارة ، ويظل طول الوقت يذكرها ، ولا يعرف كيف ينساها .

المرة الوحيدة التى اشترى فيها شيئاً من تلك الأشياء التى

يعرفها الناس ، كانت زجاجة عسلية اللون ، لها بطن صغير مكور ، خشنة الملمس ولها عنق قصير حافته مقلوبة وناعمة ، وكانت كلها فى حجم ثمرة ضامرة ، وكان قد رآها فاحبها واقتناها دون أن يخبر محموداً عنها ، وخبأها عن الأولاد ، ومن يومها لم تفارقه إلا عندما يخلع ثيابه لينام ، وكان يمسك بها الآن فى جيب سترته الصوفية المفتوحة ، عندما خايل عينيه هيكل معدنى فى لون الفضة ، إلى جوار كومة قائمة من الخردة انحدر من عليها واستقر على قاعدته المتربة الخفيفة . حمله وراح يتأمل فيه . فى الناحية اليسرى كانت خمس قطع مختلفة الأحجام والأطوال ، وكانت كل قطعة تمد من كتفيها قطعتين من السلك النحاسى مكسوتين بنسيج من الحرير الملون .

كانت القطع الخمس ملتمة مثل عائلة حول أصغرها حجماً ، ومحجوزة كلها داخل قفص من الأسلاك الرفيعة ، له بوابة صغيرة تطل على الناحية الأخرى من القاعدة ، حيث انتصب حاملان فى أعلاهما محور تقوم عليه عجلة من السلك المزدوج المطروق ، أدارها بابهامه ، وعندما توقفت ، مثل أرجوحة ، أعاده إلى مكانه ، واتجه إلى بيت صديقه محمود . هناك صافح السيدة العجوز التى تجلس بطرحتها السوداء ، تبكى ، ودخل من الباب .

كان محمود يجلس وحيداً على السرير السفرى المنصوب . وكانت الجدران مغطاة بكميات من الكتب واللوحات المعلقة ، وماسورة بندقية ، ومجموعة مختلفة من زجاجات الخمر الفارغة ولمبات الجاز النحاسية وأجهزة الراديو ذات الصناديق الخشبية المقوسة ، ومرآة ثقيلة باطار من الخشب العريض المنقوش .

تطلع سليمان إلى محمود وسأله إن كان قد أيقظه من النوم ، فقال محمود دون أن ينظر إليه ، أنه صحا اليوم مبكراً ، وتساءل سليمان إن كان يريد أن ينام الآن ، ولكن محمود انكر ذلك بهزة من رأسه ، وحينئذ تناول سليمان الجريدة المفتوحة على حافة السرير المنصوب وراح يتفحصها ويطل من فوق حافتها على محمود الذى ذهب ليعد الشاى ، وسأله محمود عن أحوال السوق . قال وهو يخرج علبة سجائره أنه لا يوجد هناك ما يستحق الاهتمام . وفكر فى الهيكل المعدنى الذى رآه ، وشعر بالضيق ، وقال انه لن يشترى بعد اليوم شيئاً من السوق ، بل إنه لن يذهب إليه أبداً ، وعاد محمود مسرعاً وهو يقول كيف ؟

وقال سليمان :

« كده » .

ولكن محمود عاد يقول :

« ليه ؟ » .

وراح يذكره بكل الأشياء التى أتيا بها من هناك ، المحرك الصغير الذى صنعا به المروحة التى ما زالت تدور عند شقيقته المتزوجة ، والأباجورة ، والساعة الخشبية التى أصلحاها ، وعربة الإطفاء ، والاسطوانات القديمة التى استمعا إليها ، والمفتاح الكبير ، والعدسة البللور التى رأيا بها الكلمات الدقيقة . ذكره بكل الأشياء التى صنعاها معاً ، وجلس حزيناً وهو ينظر إلى قدميه الحافيتين .

ترك سليمان الجريدة وظل صامتاً وهو يضم شفتيه ويمدهما إلى الأمام . قال إنه صادف اليوم شيئاً من الأشياء التى لايمكن

تعويضها ، ومع ذلك لم يأخذه ، وتغير صوته وهو يصيح فى محمود كأنه يلومه لأنه لا يعرف الشراء ، أن السوق لم تعد هى السوق ، والأيام لم تعد هى الأيام ، ونظر إلى محمود الذى كان ما زال مطرقاً وحزيناً ، وأطفأ سيجارته وهو يفكر أن لا فائدة ، نعم ، سوف يظل يقول هذا الكلام من دون فائدة ، لن يكف أبداً عن شراء هذه الأشياء اللعينة . وقام محمود واقفاً بقامته الضئيلة ، ومد يده إلى مفتاح الراديو الخشبى القريب وأداره ، وصب الشاى وأذاب السكر وعاد بوجه صغير مبتسم . كان قد وضع الكوبين فى كفة ميزان من النحاس القديم الأصفر . وجلس الصديقان ورأى كل منهما الآخر . وفكر سليمان أن يمد يده إلى جيب سترته ويتناول زجاجته الصغيرة التى يخفيها ، ولكنه خشى أن يفعل ذلك فيراها محمود ، وفكر أن يقوم ويشترى الهيكل المعدنى ويعود به حتى لا يضيع ، ولكنه عاند نفسه وقال أنه لن يذهب الآن ، وأنه سوف يبحث عنه جيداً عندما يذهب إلى هناك يوم الجمعة المقبل ، ثم أمسك كوب الشاى الكبير الدافىء ، أراد سليمان ، مرة أخرى ، أن يجرب حظه .

(١٠)

عبر حاجز من زجاج

جلس على مقعده الدوار العالى ، يدخن ، ويتطلع عبر الصالة المضاءة ، والمدخل البعيد المفتوح ، إلى الشارع الكبير الخالى ، عندما رأى البنت التى صعدت الدرجات العريضة حذرة بفستانها المشجّر ، وكعبها العالى ، والرجل الضئيل بوجهه الداكن وجلبابه الناصع المكوى ، والمرأة العجوز التى تبعتهما فى الجلباب القديم ، والطرحة الطويلة السوداء .

وقف الرجل والبنت يتحدثان إلى جوار النافذة التى تطل على الحوش الجانبى المكشوف . لمحه يخرج حافظته ويعطيها شيئا ، ويجلس مع المرأة على مقعدين متجاورين .

اقتربت البنت وهى تضحك . سمع صوتها مرحاً وصافياً فى قلب المكان :

« مساء الخير » .

أطفأ سليمان سيجارته وقال :

« أهلاً » .

حدقت فى عينيه مبتسمة ، وبانت أسنانها الكبيرة البيضاء ، وقالت أنها تريد أن ترسل برقية .

نزع ورقة من دفتر أمامه ، ودفعها تحت الحاجز .

تأملت هى الورقة المطبوعة ، ثم رفعت وجهها . كانت بشرتها ناعمة ووردية عبر الفتحة المدورة فى الزجاج العريض الغائم ، وقالت :

« باقول لك إيه ياعم ، هى ممكن توصل قبل يوم

السبت ؟ » .

فكر سلميان قليلاً ، وقال :

« النهاردة إيه ؟ » .

« الخميس » .

« توصل » .

« والنبى ؟ » .

« آه » .

« يعنى توصل يوم الجمعة ؟ » .

« توصل » .

« وهو يستلمها ؟ » .

سألها إن كانت سترسلها إلى عنوان السكن أم العمل . وقالت البنت أنها لا تعرف عنوان السكن .

« وهو ، بيشتغل الجمعة ؟ » .

« مش عارفه » .

وراحت تعبث بسلسلة ذهبية معلقة فى رقبتها النحيلة العارية . كانت تعبث بإصبعين فقط ، وتضم بقية الأصابع على الورقة المالية التى أخذتها من الرجل الذى كان يجلس صامتاً ، بينما راحت العجوز تتابعهما فى قلق . وعادت البنت تقول أنها تريد أى طريقة تسلم بها البرقية قبل يوم السبت . وعندما سألها هو : « اشمعنى يوم السبت بالذات ؟ » . قالت لأنه سوف ينتظرها بالمطار .

« وإيه يعنى ؟ يستنى شوية ويروح » .

ضحكت وقالت انها تعرف ، لكن : « احنا متفقين ، إذا ما سافرتش ، هو يرجع » .

« يرجع هنا ؟ » .

« آه » .

« ليه ؟ » .

« علشان نتجوز » .

ورن جرس التليفون الداخلى عالياً .

استدار سليمان ورفع السماعة السوداء ، وقلب بيسراه فى مجموعة البرقيات المختومة على الطاولة الخشبية الممتدة تحت الحاجز الزجاجى الغائم ، وقال : « حوالى خمسة أو ستة . سلام » .

ووضع السماعة واعتدل .

سألته البنت إن كان من الممكن أن يكتب لها البرقية . نزع ورقة أخرى من دفتر النماذج المطبوعة ، وسألها عن اسمه وعنوانه الذى كانت تحفظه ، وما تريد أن تقوله بالضبط ، وقالت :

« قول له ما يستنانيش » .

كتب :

« لا تنتظرنى » .

« أيوه . لا تنتظرنى » .

« بس ؟ » .

« لأ . قول له لا تنتظرنى ، وماتجيش » .

كتب :

« ولا تحضر » .
وسألها عن اسمها .
قالت :
« هدى » .
ورجعت تقول :
« تفتكر يقلق ، يروح جاى ؟ » .
« الله أعلم » .

تطلعت إليه واجمة ، ثم قالت انه ليس من حقها أن تقول له : « ماتجيش ، افرض نفسه يشوف امه واخواته ؟ » . وطلبت منه أن يشطب هذا الكلام .

مزق الورقة وألقى بها فى السلة المجاورة ، وأعد ورقة أخرى .
قالت البنت فى ضيق :
« خلاص بقى ، قول له ، مايستانيش ، علشان أنا اتجوزت » .
انتهى من الكتابة ، وأعاد عليها ماكتبه :
« لا تنتظرنى . تزوجت . هدى » .
ووضع القلم وقال :
« كويس كده ؟ » .
لم ترد .
مدت يدها بالورقة المالية ذات العشرة جنيهات . طلب منها بطاقتها .

قالت :

« بطاقة إيه ؟ » .

« بطاقتك الشخصية » .

« ما عنديش » .

« لازم » .

« تنفع بطاقته ؟ » .

وأشارت الى الرجل ذى الجلباب .

« تنفع » .

ذهبت إلى هناك وعادت بجواز سفره .

« ده مش مصرى » .

« آه » .

بدأ يحصى كلمات البرقية ، ويكتب وقت الاستلام والأجرة .

وسألها :

« يقرب لك ؟ »

قالت :

« جوزى » .

دون الاسم ورقم الجواز ، وأعطاها الإيصال والباقى ، ونظر إليها .

كانت تجمع نقودها وتتفادى عينيه ، بينما أسرع الرجل ورافق المرأة وهو يعيد الجواز إلى جيبه ، وتبعتهما البنت وهى تمسك الإيصال وبقية النقود . راحت تنزل السلالم العريضة حذرة ، بكعبها العالى ، وفستانها المشجر ، وتغادر الباب البعيد المفتوح ، وتميل .

(١١)

يوم آخر

صنع سليمان لنفسه كوباً من الشاى ، وجلس يدخن فى ركن « الكاونتر » بسترته الثقيلة المفتوحة ، ووجهه الحليق ، وحاجبيه الكثيفين . وهناك ، على الجدار المطلى ، كان الليل فى عقربى الساعة ذات الميناء المصنوع من القيشانى الأبيض ، يوشك أن ينتصف .

أطفأ سليمان سيجارته ، ولعق شفتيه بطرف لسانه ، ومال بعينيه الداكنتين . كانت الصالة التى تباعدت فيها مقاعد الخشب القديم ، عبر الحاجز الزجاجى العريض ، قد صارت خالية إلا من ذلك الرجل الذى مضت عليه ساعة أو أكثر وهو يكتب برقيته المطولة على قاعدة النافذة التى تطل على الحوش الكبير ، وفى آخر الصالة ، كان الباب البعيد مفتوحاً ، بدرجاته العريضة المنحدرة إلى حافة الرصيف النحيل ، حيث الشجرة الصغيرة المائلة ، ونهر الشارع الكبير الموحش .

كان الرجل قد مزق عدداً وافراً من النماذج التى ظل يطلبها وهو يبكى ويدخن دون انقطاع . وكان سليمان يريده أن ينتهى ويفكر فى زملاء الصباح والمساء ، هؤلاء الذين يرحلون هكذا فجأة تاركين ما بأيديهم فى غير مكانه ، ويكون عليه وحده أن يعيد ترتيب هذه الأشياء .

كانت أعداد من النماذج الخاصة بكتابة البرقيات مبعثرة هنا وهناك ، والأختام النحاسية الثقيلة مركونة إلى جوار حاملها الدائرى الداكن . وكانت لائحة الأجور مائلة على جانب ، والمجلدات اللاتينية التى تضمنت آلاف من أسماء بلدان العالم وقراه الكبيرة

والصغيرة ، المجلدات التى لا يمكن حتى لمن كان فى مثل عمره وخبرته أن يستغنى عن تقليب أوراقها ، هذه المجلدات كانت موزعة على المقاعد الدوارة لكى تجعل هؤلاء الزملاء أكثر علواً فى مواجهة العملاء الذين يزحمون القاعة طول النهار . وقام واقفاً ، مع الخطوة الأولى أحس سليمان بدوار خفيف ، واستند بيده على حافة الطاولة الخشبية المصقولة ، مال وجذب درجه القريب ، وأخرج عدسته المكبرة بمقبضها العاجى الناعم ، وجلس على المقعد الدوار الذى بلا مسند ، وشبك أصابعه أمامه . كان الرجل قد اقترب وهو يعيد مراجعة برقيته المطولة ودفعها تحت الحاجز الزجاجى ، ووقف ينتظر بعينيه المحمرتين ، وشعره الخشن المنكوش .

أعاد سليمان قراءة البرقية دون أن يلمسها . كان قد أحصى كلماتها وهو يمر عليها بعينيه ، ثم بدأ يتوقف عند كل كلمة من الكلمات المكتوبة وقد ضيق ما بين حاجبيه الكثيفتين ، وحدق فى الرجل : « بطاقتك » .

فوجىء الرجل بالصوت الجاف ، والنظرة العابرة فى العينين الغريبتين ، وأسرع يجفف عينيه فى كمه ، ومدّ يده بالبطاقة .

تناول قلمه على مهل ، وسجل بياناتها والقى بها تحت الحاجز الزجاجى الغائم ، وأعد الايصال المطبوع وختمه بالختم النحاسى الثقيل ، وراح يتابعه متجهما وهو يعيد البطاقة إلى جيب قميصه العلوى ، ويتناول الايصال وينصرف .

ظل سليمان جالسا لفترة أخرى من الوقت ، ثم استدار بمقعده

الدوار العالى ، ورفع وجهه إلى الساعة المعلقة .

لقد انتصف الليل منذ قليل ، وانتصاف الليل يعنى أن يوم عمل قد مضى ، وأن يوماً آخر قد بدأ .

كان يتحرك متثاقلاً ، يجمع أصول البرقيات التى تسلمها حتى الآن ، يطويها بعناية داخل الاسطوانة المعدنية القصيرة ذات القاعدة المصنوعة من اللباد ، ويجذب الباب الصغير فى ماسورة الهواء المضغوط ويضع الأسطوانة ويغلق الباب ويروح يتابعها بأذنيه وهى تندفع فى مواسير الحديد ، تحتك ، وتميل راحلة مع الجدران فى سبيلها إلى مكتب الحركة الخارجية فى الطابق الرابع ، وسمع خلخلة الهواء حين خف ضغطه ، وأدرك أن عيسى فتح الباب الآخر واستلم الأعمال . مد يده وجذب الباب الصغير وأغلقه عدة مرات ، وعادت خلخلة الهواء أكثر جلبة عندما رد عيسى على تحيته بأن فتح الباب البعيد وأغلقه عدة مرات . ابتسم وهو يتطلع عبر المدخل المفتوح فى آخر الصالة ، حيث الرصيف النحيل ، والشجرة الصغيرة المائلة، وفكر سليمان أن يقوم ، يغسل الكوب والبراد ، ويشرب دوراً آخر من الشاى .

(١٢)

طلعت و ليلى

ليلى هاشم المصرية
سجن مكة العمومى . جناح النساء
مكة .
السعودية .

أعرفك يا ليلى أنا كويس .
وينقصنى رؤياكى الجميلة .
وأرجو من الله . من رب الكعبة .
أن يعفى عنك . وعن كل مسجون .
ويشفى كل مريض .
ويرجع كل غريب إلى وطنه
ومن ضمنهم ليلى .
يا ليلى أنا من غيرك لم يهنى لى نوم .
ولا مرتاح لى بال
إلا لما تحضرى واشوفك أمامى .
وأنا من غيرك يا ليلى دموعى على الخدود وحيران ونقصانى حاجة كبيرة .
أم وجه جميل .
أم قلب طيب .
وأرجوكى تسامحينى إذا كنت غلطت فى حقك
وأعرفك يا ليلى أن الأولاد يحيى وشريف
مع ستهم فى الفيوم

وهما بخير والحمد لله .
ولا تزعلى ياليلى .
كل ما جرى كتبه الله لنا
وبعد ضيق ان شاء الله سيأتى بالفرج
وأنا لم أتخلى عنك
انت أجمل وردة
وأحلى زهرة فى حياتى
وأحسن شمعة فى بيتى منورة
وأعرفك يا ليلى بأننى أرسلت لك ألف ريال
وللآن لم يأت لنا الرد
هل وصلك الألف ريال أم لا ؟
وان شاء الله سأرسل لك ٢٠٠ ريال
وهم مش بتوعى أنا
دول بتوع اختك صباح
وأنا كنت قاعد فى الفيوم
وجدت صلاح ابو أمين واختك صباح
قابلونى فى الفيوم
وأعطونى ٤٠ جنيه مصرى
و ٢٠٠ ريال سعودى
قالت اختك صباح ارسلهم إلى ليلى اختى
وسلامى لك من القلب اللى مشتاق اليك
وسلامى للأخت اللى بتاكل عيش وملح معاكى

الأخت ايمان . اللى بتكتب الخطابات
الراسل ــ طلعت السيد جلاب .

[صورة طبق الأصل لبرقية أرسلت من مكتب تلغراف رمسيس فى منتصف السبعينات] .

(١٣)

السلالم

عندما انتهيت من طلوع السلم العريض العالى ، وخطوت إلى الصالة الطويلة المضاءة ، فى الليل ، رأيته هناك أمام ساعة الميقات المعلقة ، بخشبها الأصفر المصقول .

كان يجذب ذراع الساعة الجانبى على فترات متباعدة ، وبين المرة والأخرى ، كان يشب ويميل ، كمن يقرأ شيئاً فى شريط التوقيع .

وكنت ، وأنا واقف هنا فى حلق الباب ، أستريح ، وأسمع صوت الأسطوانة الداخلية وهى تدور ، وأقول ، إنه محمود ، زميل الدفعة القديم .

لم يكن ممكناً أن اخطئه بهذه القامة التى لا تزيد عن المتر إلا قليلاً ، غير اننى لم أكن واثقاً ، بسبب من تلك السنوات الطويلة التى مضت ، وذلك القميص الخفيف الواسع ، وهذه الوفرة من لمبات النيون التى توهت ملامح الوجه البعيد . ثم إننى لم ألبث أن سمعته وهو يسعل فى صوت نسائى نحيل ، ويجذب الشريط الورق من قلب الساعة حتى خفت أن يقطعه . تراجع به حيث الجدار المدهون ، ورفعه هكذا بين يديه ، واستغرق فى الاطلاع على عشرات الأسماء المكتوبة ، وظل يفعل ذلك حتى مال بجسده ورآنى .

وقف ينظر ناحيتى ويداه عاليتان كما هما ، ثم ترك الشريط الورق يتهدل على البلاط الخشن المغسول ، وبدأ يخطو متردداً بنظارته الطبية حتى تأكد لى أنه محمود : « محمود القزعة » ، ونظرت فى

الوجه القريب :

« أهلاًيا محمود » .

« أهلاً أهلاً . إزيك » .

« إزيك انت ؟ إنت انتقلت هنا والا إيه ؟ » .

« لا أبداً » .

« أمال إيه ؟ » .

هز رأسه كمن ينفى شيئاً .

وشبك ذراعيه على صدره ، وتراجع بلحيته النابتة البيضاء ، ونظر جيداً إلى وجهى ، وتوقفت عيناه عند شعرى ، وشاربى :

« لازم عندك ليل النهاردة ؟ » .

ابتسمت وقلت :

« أنا عندى ليل على طول » .

« كويس . ومضيت حضور والا لسه ؟ » .

« لأ . لسه » .

« بتمضى فى الكشف والا فى الساعة ؟ »

« فى الاثنين . زى زمان »

« كلكم ! » .

« كلنا » .

« رجالة وبنات ؟ » .

« رجالة وبنات ، لكن للأسف ، مفيش بنات فى وردية الليل » .

شاركنى الابتسام فتباعدت ملامح وجهه قليلاً ، وقال أنه يعرف .

فكرت أن آسيا لن تصدق عندما أخبرها بهذا اللقاء . محمود مراد زغلول . كنا نسميه « القزعة » لأنه اعتاد أن يعتلى أسطح المكاتب لكى يطول خانات الحفظ التى كانت تطولها البنات وهى واقفة فى مكانها . كان يقفز من مكتب إلى آخر دون حذاء ، بالجسد الرقيق ، والوجه الأسمر الضاحك . وخطر لى أنه الوحيد الذى يعادل مرتبه مرتبى بالمليم ، وقدمت له سيجارة ، ولكنه اعتدل فجأة وقال :

« طيب سلام » .

« سلام ازاى ؟ أنا لازم اشوفك » .

« إن شاء الله » .

« قبل ما تمشى » .

« ضرورى طبعاً » .

وتوقف قليلاً ، وضيق ما بين حاجبيه وقال :

« هو انت كنت بتقول إيه ؟ » .

« باقول لازم اشوفك » .

« لأ . الأول » .

« الأول امتى ؟ » .

« الأول خالص ، قبل ما تسلم على » .

شعرت بالحيرة .

قال :

« طيب سلام » .

وهز رأسه مودعاً .

بدأ ينزل الدرجات العريضة بقميصه الخفيف الواسع . أخرجت قلمي من جيبي ، ولمحت يده الصغيرة على السياج الخشبي الناعم ، بينما هو يميل عند انحناءة السلم ، ويختفي .

(١٤)

دموع

كان ليلاً كبيراً ،
صافياً ، وموحشاً ،
وكانت نافذة حجرة التوزيع التى تطل على أرضية الحوش مفتوحة ومعتمة .
وفى أعلى الطريق المنحدر ، بدت أغصان الشجرة الكثيفة ، غريبة فى ضوء القمر ، ومأهولة .

غادرت السور الحجرى القصير دون أن أصدر صوتاً ، وصعدت إلى الطابق الرابع وأنا أستريح بعد كل دفعة من الدرجات الرخامية العريضة ، وانحرفت إلى الصالة الطويلة بطول المبنى ، ولمحت الحريرى يؤذن وهو يضع يديه وراء أذنيه ، هناك ، على الحصيرة النحيلة الملونة .

كان صوته يتردد ضعيفاً فى ضوء عشرات من لمبات النيون المعلقة . وأثناء التكرار ، كان يمد هذا الصوت ويمده حتى يحتبس ، ويضيع ، ثم ينفلت بعيداً ويأتى مسموعاً مرة أخرى .

عندما اقتربت ، لاحظت أنه يؤذن بكلام غير مفهوم ، ولكن له نغمة الأذان تماماً .

وقفت أتابعه حتى رآنى ، حينئذ توقف وأنزل يديه ، واقترب من ناحيتى .

كان قد شمر بنطلونه حتى ركبتيه ، وفى قدميه قبقاب خشبى قديم ، واستقبلنى بوجه نحيل شاحب ، ولحية نابتة بيضاء ، وعينين

فى لون الدم ، وقلت :

« مساء الخير » .

ورد هو :

« أهلاً وسهلاً ، جمعاً ان شاء الله » .

واقترب بفمه من أذنى اليمنى ، وهمس :

« سمعت الأذان ؟ » .

« طبعاً » .

« إيه رأيك بقى ؟ » .

« جميل » .

« صحيح ؟ » .

« آه والله » .

ورأيت حذاءه المركون ، والجوارب البنية المرمية ، وسألنى :

« رايح تصلى ؟ » .

« أصلى إيه ؟ » .

« تصلى إيه ؟ » .

« أيوه » .

« انت مش سمعت الأدان ؟ » .

« سمعته » .

« وعجبك ؟ » .

« عجبنى » .

« أمال إيه اللى مزعلك ؟ » .

« أنا مش زعلان ، لكن الساعة واحدة دلوقت ، ومش أوان

أدان ، ولا أوان صلاة » .

تراجع قليلاً وقد بوغت ، وتفرس فى وجهى حائراً :

« كده برضه ؟ » .

وصمت قليلاً ، وقال :

« على كل حال معلش » .

وربت بيده على كتفى :

« معلش » .

وراحت الدموع تجرى من عينيه المحمرتين ، وتبلل وجهه النحيل الشاحب .

(١٥)

رؤيا

الآن ، انتهيت من مراجعة دفعة البرقيات الأخيرة التى وصلتنا .

وكان الضوء الذى تشعه هذه العشرات من لمبات النيون داخل جدران القاعة المطلية بالزيت الرمادى اللامع ، يعشى عينى ويؤلمهما .

لم يعد بوسعى هذه الأيام أن أبقيهما مفتوحتين ، دون حرقة ، ودون دموع .

كانت آخر البرقيات التى طالعتها صغيرة ، لا تجاوز بضع كلمات : « لا تنتظرنى . تزوجت . هدى » . ويبدو اننى جففت عينى وملت على المكتب الخشبى ، وسمعت صوتاً كأنه محمود يسألنى ان كنت قد انتهيت أم ما زال فى العمر بقية ، وأننى أجبته بالإيجاب ، وطلبت منه أن يطفىء النور ، وأغلقت دفتر الأحوال قبل موعده ، ورجوته أن لا يغادر قبل طلوع النهار .

وجدتنى متعباً .

لقد نزلت درجاً عريضاً يحمينى سياج من خشب ، وحطب ،

وأغصان .

ومضيت حينا .

أشعلت ناراً تحت شجرة كبيرة تحتلها العصافير .

ومررت أمام نافذة مفتوحة على جانب الحوش الكبير المكشوف ،

وانحنيت .

كان القبو معتما ،

ولكننى لمحت جمرة السيجارة المشتعلة فى الجانب الآخر من الطاولة ذات السطح الناعم الذى التقط شيئاً من النور .

صباح الخير ياعم ،

هذى الشوارع خالية ،

صندوق البريد الكبير يستند وحيداً على الناصية ،

أحمر على ليل .

وأنا أمشى .

تطفو الوجوه وتغيب ،

يأتينى محمود قزماً بثياب ملونة

والمرأة آسيا حزينة وصامتة

والعم بيومى ينهض على مهل ،

تذكرت البنت ذات العينين الكبيرتين ، والخرزة الثقيلة

[illegible]

يا للخسارة ،

رأيتنى هارباً فى مقعد من خشب ،

وخريف ،

ولحم السماء ينسدل أمامى ،

أخضر على ليل ،

وهناك أسطح وبيوت من تراب ،

وفجوات ، وعيون ، لا تخلو من نور أو خيال .

كنت وحدى ،

أمدّ نصلاً فضياً إلى لحم السماء ،
ويكون شجاً مثل فم ، له شفران من أرجوان ،
أعمق الشج مهبلاً ،
تنسحب يدى إلى جوارى فى انتظار الدمعة الحمراء وهى
تبزغ ،
تنحدر ،
تسقط فى الأفق ، ثقيلة دون صوت ،
أرقبها حريقاً خفياً ينشر الحمرة والظلال
تصحو بيوت التراب ،
تنبض جدرانها بالصهد ،
تنهار أشكالاً ترابية لرجال هدّهم التعب ،
ونساء هزيلات تدلت منهن الأثداء ،
[illegible]
وخلجات غبار لعيال تجرى ،
وبالونات من عفار وربيع ،
تعلو ، تملأ الأفق ،
وتقترب .

الوراق ، فبراير ١٩٨٥ — مارس ١٩٩١

انتهى الكتاب الأول

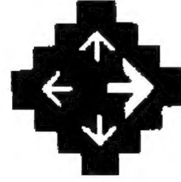
وردية ليل

صدر للكاتب

- بحيرة المساء ــ مجموعة قصصية — الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٧١
- مالك الحزين ــ رواية — ط ١ ــ مطبوعات القاهرة ــ القاهرة ــ ١٩٨٣
  ط ٢ ــ دار التنوير ــ بيروت ــ ١٩٨٣
- يوسف والرداء ــ مجموعة قصصية — هيئة الكتاب ــ القاهرة ــ ١٩٨٧
- وردية ليل ــ رواية — دار شرقيات للنشر والتوزيع ــ القاهرة ــ ١٩٩١

تحت الطبع :

- الكتاب الثانى من « وردية ليل »



شرقيات

دار لنشر الأعمال الإبداعية المتميزة

فى إخراج طباعى متميز

أمواج الليالى / متتالية قصصية / **إدوار الخراط**

◆

اللجنة / رواية / **صنع الله إبراهيم**

◆

[illegible]

◆

وردية ليل / رواية / **إبراهيم أصلان**

◆

رائحة البرتقال / رواية / **محمود الوردانى**

◆

وكالة عطية / رواية / **خيرى شلبى**

يصدر قريبا

حجارة بوبيللو / رواية / **إدوار الخراط**

◆

المسرح الشعبى / دراسة / **الدكتور على الراعى**

◆

الكتابة عبر النوعية / دراسة + مختارات / **إدوار الخراط**

رقم الإيداع ٨٧٣٢/ ١٩٩١


٥/٠٠